الفصل الثامن

ابتسامات نبوية مع الصغار

١- حب الأنصار للتمر .

٢- أول مولود بالمدينة يبايع النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين .

٣- زيد بن أرقم : وفى الله بأذنه وضحك له الرسول ﷺ .

٤- أنس بن مالك : يضاحكه الرسول ﷺ .

ابتسامات نبوية مع الصغار

لقد أعطى النبي ﷺ الأطفال الصغار جانباً كبيراً من اهتماماته ، وقد رأينا سابقاً كيف كان يصنع النبي ﷺ مع الحسن والحسين حين يركبان على ظهره فيطيل لهما السجود ، ومما ينبغي التنبيه عليه هنا : أن تربية الأولاد علم وفن ، فليس كل أب مربٍ ، وليس كل مربٍ ناجح ، وإنما يكمن نجاح المربي في كيفية استخدام الوسيلة المناسبة في الوقت المناسب ، فليس من الحكمة استخدام اللين في وقت الشدة ، أو استخدام الشدة في وقت اللين . كما أنه ليس من الحكمة أن يقسو المربي على ولده دائماً ؛ وإنما يراعي صغر سنه ، وتغير مزاجه فيلين بعد الشدة ، ويهدأ بعد الغضب ، ويبتسم بعد الثورة ، وهذا هو فن التربية ، وكم كان رائعاً رسول الله ﷺ وهو يربي الصغار بابتساماته ، وضحكاته ، ومن هذه الابتسامات الضاحكة والممازحات الباسمة التي دارت بين الرسول ﷺ وصغار الصحابة ما يلي :

١- حب الأنصار للتمر .

٢- أول مولود بالمدينة يبايع النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين .

٣- زيد بن أرقم : وفى الله بأذنه وضحك له الرسول ﷺ .

٤- أنس بن مالك : يضاحكه الرسول ﷺ .

حب الأنصار للتمر

عن أنس بن مالك أنه قال : ولدت أم سليم عبد الله بن أبي طلحة من آخر الليل فقال : لا تحدثوا فيه شيئا حتى أستيقظ ، فلما أصبحت غسلته ثم بعثت به مع أنس ابن مالك إلى رسول الله ﷺ فقالت : اذهب بأخيك إلى رسول الله . قال أنس : فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فجئته وهو قائم في إزار معه مسحاة[1]، فقال رسول الله ﷺ : ما هذا يا أنس ؟ قلت : يا رسول الله هذا أخي أرسلتني به أمي إليك . قال : فأخذه رسول الله ﷺ ثم دعا بتمرة فمضغها ، ثم حنكه بها ، فتلمظها[2] الصبي ، فضحك النبي ﷺ ثم قال : حب الأنصار التمر [3].

هذا الحديث عند مسلم بدون ذكر الضحك ، ولفظه : عن أنس قال : « مات ابن لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه . قال : فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ، قال : ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها ؛ قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحتسب ابنك . قال : فغضب وقال : تركتني حتى تلطخت[4]، ثم أخبرتني بابني . فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكما في غابر ليلتكما . قال : فحملت . قال : فكان رسول الله ﷺ في سَفر وهي معه ، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً[5]، فدنوا من المدينة فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة

---

(١) آلة من حديد .

(٢) يتتبع أثر التمر أو يحرك لسانه .

(٣) انظر : الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ٨/ ٤٣٤، ط دار صادر بيروت .

(٤) يقصد الجماع .

(٥) يدخلها ليلاً فجأة .

وانطلق رسول الله ﷺ . قال : يقول أبو طلحة : إنك لتعلم يا رب إنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج ، وأدخل معه إذا دخل ، وقد احتبست بما ترى ، قال : تقول أم سليم : يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد انطلق ، فانطلقنا ، قال : وضربها المخاض[1] حين قدما فولدت غلاما ، فقالت لي أمي : يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ ، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ قال : فصادفته ومعه ميسم[2] فلما رآني قال لعل أم سليم ولدت ؟ قلت : نعم . فوضع الميسم ، قال : وجئت به فوضعته في حجره ، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة ، فلاكها في فيه حتى ذابت ، ثم قذفها في فيّ الصبي ، فجعل الصبي يتلمظها . قال : فقال رسول الله ﷺ : انظروا إلى حب الأنصار التمر . قال : فمسح وجهه وسماه عبد الله »[3].

أم سليم هي أم أنس بن مالك وهي الرميصاء أوالغميصاء ، وأختها أم حرام الرميصاء ، ومعناهما متقارب ، والرمص والغمص : قذى يابس وغير يابس ، يكون في أطراف العين .

وفي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه إلا على أم سليم ، فإنه كان يدخل عليها . فقيل له في ذلك . فقال : إني أرحمها قتل أخوها معي .

قال النووي : وأم حرام وأختها أم سليم كانتا خالتين لرسول الله ﷺ محرمين ، إما من الرضاع وإما من النسب ، فتحل له الخلوة بهما ، وكان يدخل عليهما خاصة لا يدخل على غيرهما من النساء إلا أزواجه [4].

---

(١) وجع الولادة .

(٢) أداة تستخدم في الكي .

(٣) رواه مسلم في الآداب (٢١٤٤) .

(٤) انظر : شرح النووي ، ١٦/ ١٠ .

ومن مناقبها ما جاء في البخاري : قال رسول الله ﷺ : « رأيتني دخلت الجنة ، فإذا أنا بالرميصاء ، امرأة أبي طلحة »[1].

وعند مسلم « دخلت الجنة فسمعت خشفة[2] بين يدي ، فإذا هي الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك »[3].

وقد تزوجت أم سليم بأبي طلحة ولم يكن لها مهر سوى الإسلام ، قال ثابت : فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم « الإسلام ».

قالوا : وهذا الغلام الذي توفي هو أبو عمير صاحب النغير ؛ والذي كان يقول له النبي ﷺ : « يا أبا عمير ما فعل النغير »[4].

قال الإمام النووي : اتَّفق العلماء على استحباب تحنيك المولود عند ولادته بتمر ، فإن تعذَّر فما في معناه ، وقريب منه من الحلو ، فيمضغ المحنِّك التَّمر حتَّى تصير مائعة بحيث تبتلع ، ثمَّ يفتح فم المولود ويضعها فيه ليدخل شيء منها جوفه ، ويستحبُّ أن يكون المحنِّك من الصَّالحين ، وممَّن يتبرَّك به رجلاً كان أو امرأة ، فإن لم يكن حاضراً عند المولود حمل إليه .

وأعجب ما في هذا الحديث هو دور أم سليم ـ تلك المرأة الرائعة التي قامت بحق زوجها حتى يوم وفاة ولدها ، ولقنته وغيره من المسلمين كيف يكون الصبر والاحتساب ، وكيف يكون الرضا بقضاء الله وقدره ـ وها هي تضرب مثلا رائعا في حسن رعاية ولدها ، وهو في سويعاته الأولى ، ويبدو هذا من وصيتها لولدها أنس : (اذهب بأخيك إلى رسول الله) ، وفي الرواية الأخرى (يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ) .

إن دور الأم في بيتها هو الدور الأكبر ، وهي الموجهة الأولى ، وهي قلبه النابض ، فإن صلحت صلح بيتها ، وإن فسدت فسد بيتها .

---

(١) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٧٩)

(٢) الحركة والحس الخفي .

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٦) .

(٤) رواه البخاري في الأدب (٦١٢٩) ومسلم في الآداب (٣١٥٠) .

ولذلك ذكر القرآن لنا قصة نبيين ، صلحت امرأة أحدهما ، فصلح الثمر بصلاح التربة ، وفسدت امرأة الآخر ، فخبث الثمر بخبث التربة ، فها هي هاجر تربي ولدا على الهدى فيغدو نبيا مرسلا ، يستشيره أبوه في ذبحه فلم يملك إلا أن يقول : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الصافات:١٠٢).

وها هي امرأة نوح يصفها القرآن بالكفر ، قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ (التحريم:١٠) ولا بد أن يكون الثمر كما كان المحضن ، فلما قال الأب لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (هود:٤٢) لم يكن رد الولد الذي يرجو أبوه له النجاة سوى : ﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾ (هود:٤٣).

وهذا يؤكد على أن دور الأم في التربية دور بالغ الأهمية ، وأن هذا الدور يبدأ مع ساعة ولادة الطفل مباشرة ، وليس بعدها بقليل ولا كثير .

وفى هذا الحديث فوائد منها :

١- منقبة لأم سليم ﷺ من عظيم صبرها وحسن رضاها بقضاء الله تعالى ، وفيه جزالة عقلها وحس تصرفها .

٢- استعمال المعاريض عند الحاجة .

٣- كرامة ظاهرة لأبي طلحة وفضائل لأم سليم .

٤- تحنيك المولود وأنه يحمل إلى صالح ليحنكه .

٥- أنه يجوز تسمية الولد في يوم ولادته ن واستحباب التسمية بعبد الله.

٦- جواز وسم الحيوان ليتميز وليعرف وفيه تواضع النبي ﷺ[1].

---

(١) انظر : شرح النووي ، ١٠/١٦ ، ١٢٧/١٤ .

أول مولود بالمدينة يبايع النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين

عن عروة بن الزبير وفاطمة بنت المنذر بن الزبير أنهما قالا : «خرجت أسماء بنت أبي بكر حين هاجرت وهي حُبْلى بعبد الله بن الزبير ، فقدمت قباء فنفست[1] بعبد الله بقباء ، ثم خرجت حين نفست إلى رسول الله ﷺ ليحنكه[2]، فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة قال : قالت عائشة : فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها ، فمضغها ثم بصقها في فيه ؛ فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول الله ﷺ ، ثم قالت أسماء : ثم مسحه وصلى عليه[3] وسماه عبد الله ، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع[4] رسول الله ﷺ ؛ وأمره بذلك الزبير ؛ فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلا إليه ، ثم بايعه»[5].

يصوِّر هذا الحديث اهتمام النبي ﷺ وأصحابه بأطفالهم ، فهذا عبد الله بن الزبير يأتي إلى رسول الله ﷺ ، يحركه أبوه ، وتدفعه أمه ؛ ليبايع النبي ﷺ بوجه ضاحك وفم مبتسم ، ويضع يده في يده ؛ إنها بيعة لله ورسوله ، حتى وإن كانت من غلام ، فلا غرو بعد ذلك أن يكون عبد الله رجلا من رجالات الإسلام ، وبطلا من أبطاله ، وعالما من علمائه ، بل إنه بطل من أبطاله المعدودين ، وخطيب من خطبائه المفوهين .

ولا عجب أن يكون منه ذلك الموقف المقدام ، فهو ابن من ؟ وأمه من ؟ وخالته من ؟ وجده من ؟ إنه ابن الزبير ، وأمه أسماء ، وخالته عائشة ، وجده الصديق . وكان عبد الله أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة بعد الهجرة من أولاد المهاجرين ؛ وإلا فالنعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه ولد قبله بعد الهجرة .

وقد ربى الصحابة أبناءهم تربية جهادية صادقة ، فربوهم على حب الغزو والجهاد فضلاً عن البيعة لله ولرسوله ، ولم تكن حادثة ابن الزبير فلتة إنما كان ذلك ديدنهم أجمعين .

---

(١) ولدت .

(٢) مضغ طعام حلو وتحريكه في فم المولود .

(٣) دعا له .

(٤) العهد : السمع والطاعة .

(٥) مسلم في الآداب (٢١٤٦) .

ومن هذه الصور الجهادية الرائعة ما كان من صغار الصحابة في غزوة أحد ؛ وقد عرض على رسول الله المقاتلة فأجاز من أجاز ورد من رد ، وكان فيمن رد زيد ابن ثابت ، وابن عمر ، وأسيد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وعرابة بن أوس ، ورد أبا سعيد الخدري ، وأجاز سمرة بن جندب ، ورافع بن خديج .

وكان رسول الله قد استصغر رافعاً ؛ فقام على خفين له فيهما رقاع وتطاول على أطراف أصابعه ، فلما رآه رسول الله أجازه .

وكانت أم سمرة بن جندب تحت مري بن سنان بن ثعلبة عم أبي سعيد الخدري فكان ربيبه ، فلما خرج رسول الله إلى أحد وعرض أصحابه فرد من استصغر رد سمرة بن جندب وأجاز رافع بن خديج ، فقال سمرة بن جندب لربيبه مري بن سنان : يا أبت أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردني ، وأنا أصرع رافع بن خديج ، فقال مري بن سنان : يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع ابن خديج ، وابني يصرعه . فقال النبي ﷺ لرافع وسمرة : تصارعا . فصرع سمرة رافعاً فأجازه رسول الله ، فشهدها مع المسلمين [1].

وتعد هذه البيعة التي قام بها عبد الله بن الزبير بيعة تبريك وتشريف لا بيعة تكليف كما ذكر الإمام النووي[2].

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- مشروعية تحنيك المولود بعد ولادته مباشرة .

٢- مشروعية التحنيك من ذوي الصلاح والتقى .

٣- استحباب التسمية بعبد الله .

٤- الحرص على ما ينفع الصغار .

٥- تربية الأولاد على الأمور الكبار وإن كانوا لا يحسنون فهمها .

٦- غرس تعاليم الإسلام في نفس الناشئة .

---

(١) انظر : تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبري ، ط دار الكتب العلمية ، ٢/ ٦١ .

(٢) انظر : شرح النووي ، ١٤/ ١٢٧ .

٧- قال النووي : وفي الحديث مناقب لعبد الله بن الزبير ، ومنها : أن النبي ﷺ مسح عليه وبارك عليه ودعا له ، وأول شيء دخل جوفه ريقه ﷺ ، وأنه أول من ولد في الإسلام بالمدينة [١].

زيد بن أرقم : وفى الله بأذنه وضحك له الرسول ﷺ

عن زيد بن أرقم ﷺ قال : غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر[٢] الماء ، وكان الأعراب يسبقونا إليه ، فسبق أعرابي أصحابه فيسبق الأعرابي فيملأ الحوض ، ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع[٣] عليه حتى يجيء أصحابه ، قال : فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرخى زمام[٤] ناقته لتشرب ، فأبى أن يدعه فانتزع قباض[٥] الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه[٦] ، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أُبي ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا[٧] من حوله ، يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام ، فقال عبد الله : إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمداً بالطعام فليأكل هو ومن عنده . ثم قال لأصحابه : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال زيد : وأنا ردف[٨] رسول الله ﷺ فسمعت عبد الله بن أبي فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد[٩]، قال فصدقه

---

(١) انظر : شرح النووي ، ١٤/ ١٢٧ .
(٢) نتسابق .
(٣) بساط من جلد .
(٤) حبل تقاد منه الدابة .
(٥) ما يمسك الماء ويقبضه .
(٦) الشجة : الجرح يكون في الرأس أو الوجه أو الجبين .
(٧) يتفرقوا .
(٨) جلس خلفه .
(٩) أنكر .

رسول الله ﷺ وكذبني ، قال : فجاء عمي إلي فقال : ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون ، قال : فوقع عليّ من الهم ما لم يقع على أحد . قال : فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر قد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك[1] أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ، ثم إن أبا بكر لحقني فقال : ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت : ما قال لي شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي . فقال : أبشر . ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر . فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ « سورة المنافقين »[2].

النفاق داء فتاك ومرض عضال ابتليت به الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ، ولم يكن للنفاق ظهور ولا شوكة في مكة ، ذلك أن الدعوة الإسلامية وقتها كانت على محك ابتلاء ، ولم يكن للنفاق أن يظهر والمسلمون في ضعف وحاجة ، غير أنه لما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ، وأكرمه الله في بدر ، ورأى ضعاف النفوس ما رأوا من غلبة المسلمين وقوتهم ، قال زعيمهم عبد الله بن أبي : إن هذا أمر قد توجه . ودخل هو وأشباهه في دين الله ؛ لا حباً ولا إخلاصاً ؛ ولكن منفعة وكيداً .

ولم تخل الأيام من كيد عبد الله بن أبي بن سلول وأشباهه ، وتشهد عليه غزوة أحد بانخذاله بثلث الجيش ، وما حادثة الإفك عنا ببعيد ، ولم يكن ابن أُبي يظهر كفره وفجره ، أو يبدي عجره وبجره ، وإنما كان يفضي به سراً إلى أصحابه ، أو يعرف في لحن قوله وبعض ألفاظه ، ويوم أن قال ما قال في حضرة زيد بن أرقم ما كان يتوقع أن يبلغ زيد رسول الله ﷺ ما سمع ، أو أن يعي هذا الغلام الصغير ما قاله اللعين . ولكن هيهات هيهات ؛ فإن زيداً وإن كان غلاماً إلا أنه فطن لقن ، ملئ حب رسول الله ﷺ قلبه ، فلم يتمالك نفسه إلا وهو يصيح بين يدي الرسول ﷺ بما قاله رأس النفاق .

---

(١) دلك .

(٢) رواه الترمذي في التفسير (٣٥٣٢) وقال حديث حسن صحيح ، وذكره الألباني في صحيح الترمذي وقال : صحيح الإسناد (٢٦٤٠) .

ولقد كان لهؤلاء المنافقين معاملة خاصة طيلة الفترة المدنية ، يقول صاحب الظلال :

وننظر مرة إلى الأحداث ، ومرة إلى الرجال ، ومرة إلى النص القرآني ، فنجدنا مع السيرة ، ومع المنهج التربوي الإلهي ، ومع قدَر الله العجيب في تصريف الأمور..

فهذا هو الصف المسلم يندس فيه المنافقون ؛ ويعيشون فيه ـ في حياة الرسول قرابة عشر سنوات . والرسول لا يخرجهم من الصف ، ولا يعرفهم الله له بأسمائهم وأعيانهم إلا قبيل وفاته . وإن كان يعرفهم في لحن القول ، بالالتواء والمداورة ، ويعرفهم بسيماهم وما يبدو فيها من آثار الانفعالات والانطباعات . ذلك كي لا يكل الله قلوب الناس للناس . فالقلوب له وحده ، وهو الذي يعلم ما فيها ويحاسب عليه ، فأما الناس فلهم ظاهر الأمر ؛ كي لا يأخذوا الناس بالظنة [1].

والذي قام به زيد من نقل الكلام إلى النبي ﷺ إنما قام به لكونه يتعلق برسول الله ، وهو رأس الدولة وسائسها ، قال النووي : وفى حديث زيد بن أرقم هذا : أنه ينبغي لمن سمع أمراً يتعلق بالإمام ، أو نحوه من كبار ولاة الأمور ، ويخاف ضرره على المسلمين أن يبلغه إياه ؛ ليحترز منه [2].

لقد ظل النبي ﷺ يعمل هؤلاء المنافقين بالظاهر تاركاً السرائر إلى الله تعالى ، بل لم يمتنع النبي ﷺ من الصلاة عليهم حتى منعه الله من ذلك ، بل لقد ألبس النبي ﷺ عبد الله بن سلول قميصه واستغفر له ونفث عليه من ريقه ، يقول الإمام النووي موضحاً سبب فعل النبي ﷺ ذلك : وأما حديث صلاة النبي ﷺ على عبد الله ابن أبى المنافق وإلباسه قميصه واستغفاره له ونفثه عليه من ريقه أنه ﷺ فعل هذا كله إكراما لابنه وكان صالحًا ، وقد صرّح مسلم في رواياته بأن ابنه سأل ذلك ، ولأنه أيضاً من مكارم أخلاقه ﷺ وحسن معاشرته لمن انتسب إلى صحبته ، وكانت هذه الصلاة قبل نزول قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ** ﴾ (التوبة: ٨٤).

---

(١) انظر : في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٢٧٧ .

(٢) انظر : شرح النووي ، ١٧/ ١٢٠ .

وقيل ألبسه : القميص مكافأة بقميص كان ألبسه العباس [1].

كما أن الحديث يُنبأ عن سياسة النبي ﷺ في تعامله مع هؤلاء القوم ، وكيف كان رسول الله يرفع واقع الدعوة الذي يعيشه جيداً ، ولهذا حين أشار عليه عمر بقتله ، قال النبي ﷺ وهو الخبير بفقه الواقع وفقه الموازنات : «دعه ، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» [2].

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- وجوب الدفاع عن النبي ﷺ .

٢- حب الصحابة صغارهم وكبارهم للنبي ﷺ .

٣- فضح القرآن لخبايا المنافقين .

٤- صبر النبي على الإيذاء بكل أصنافه .

٥- حنكة النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين .

أنس بن مالك يضاحكه الرسول ﷺ

عن أنس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي قال : فنظرت إليه وهو يضحك فقال : «يا أنيس أذهبت حيث أمرتك ؟» قال : قلت : نعم أنا أذهب يا رسول الله . قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته : لم فعلت كذا وكذا ، أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا» [3].

راوي الحديث وصاحب الواقعة والقصة هو : الصحابي الجليل أنس بن مالك ، ذكر الذهبي في ترجمته : هو أنس بن مالك بن النضر الإمام المفتي المقرئ المحدث راوية الإسلام : أبو حمزة الأنصاري الخزرجي البخاري المدني ، خادم

---

(١) انظر : شرح النووي ، ١٧/ ١٢١ .

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٧) ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٤) .

(٣) مسلم في الفضائل (٥٩٧٠) .

رسول الله ﷺ وقرابته من النساء وآخر أصحابه موتا ، روى عن النبي ﷺ علما جمّا ، وروى عنه خلق عظيم .

وكان أنس يقول : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر ومات وأنا ابن عشرين ، وكن أمهاتي يحثثني على رحمة رسول الله ﷺ فصحب أنس نبيه ﷺ أتم الصحبة ، ولازمه أكمل الملازمة ، منذ هاجر وإلى أن مات .

وعن أنس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة فأخذت أمي بيدي فانطلقت بي إليه ، فقالت : يا رسول الله لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا وقد أتحفك بتحفة ، وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلا ابني هذا ؛ فخذه فليخدمك ما بدا لك ، قال : فخدمته عشر سنين فما ضربني ولا سبني ، ولا عبس في وجهي[1] .

وفي رواية فقالت : يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده[2] ». فوالله إن مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو من مئة .

وفي رواية : فالله أكثر مالي حتى إن كرما لي لتحمل في السنة مرتين وولد لصلبي مئة وستة [3] .

إن الرفق واللين شعار دائم للمسلم في معاملته مع الناس كل الناس ، وهذا ما عناه المصطفى ﷺ حين قال لعائشة : « يا عائشة إن الله يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على ما سواه »[4] .

ومن كلامه أيضاً « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه »[5] .

ولله در الأصمعي حين قال :

ولم أر مثل الرفق في أمره ... أخرج العذراء من خدرها

من يستعن بالرفق في أمره ... قد يخرج الحية من جحرها

---

(١) رواه أبو يعلى (٦/ ٣٠٦) .

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨١) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٨١) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ، ٣/٣٩٥ وما بعدها بتصرف .

(٤) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٥) ومسلم في السلام (٢١٦٥) .

(٥) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤) .

هكذا تكون معاملة الخدم ، ومن في منزلتهم ، بل كل من هم تحت مسؤولية المرء ، وفي رعايته ، وكم هي رسالة رائعة أن يكون المسلم في بيته رفيقا بأهله حنون عليهم ، رءوفاً بهم ، حريصاً على مصلحتهم .

وفي الحديث دلالة على حسن خلق النبي ﷺ فهذا أنس يخدم النبي عشر سنين ومع طول المدة لم يجد أنس من النبي ﷺ كلمة عتاب ، ولا كلمة تأنيب ، وحين يعصي أنس رسول الله ﷺ ويهمل حاجته ، ما كان من النبي إلا أن أمسك بقفاه ضاحكاً له ، مداعباً إياه .

أين نحن من هذه الرقة والوداعة ؟ وأحدنا إذا عصى له ولده أمراً ، علاه بالضرب ، وعنفه بالسب ، وكأني بواحد منا وقد حدث من خادمه أو ولده ما وقع من أنس ؛ إلا وهو يمسك بقفاه كما فعل النبي ﷺ لا ليبتسم في وجهه ، ولا لمجرد أن يمسه ؛ ولكن ليضرب ضربا موجعا ، وربما ترك أثرا ، أو كسر عضوا .

إنها حقاً رسالة رائعة لكل من ولاه خدماً ، أن يتقي الله فيهم ، فإن الذي جعل الخادم خادماً والمخدوم مخدوماً ، والمالك مالكاً ، والمملوك مملوكاً ، قادر على أن يبدل الأمر ، وقد رأى النبي ﷺ صحابياً اسمه أبا مسعود يضرب غلاما له . قال أبو مسعود : فسمعت من خلفي صوتا : «اعلم ، أبا مسعود ! لله أقدر عليك منك عليه» فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ . فقلت : يا رسول الله! هو حر لوجه الله . فقال : «أما لو لم تفعل ، للفحتك النار ، أو لمستك النار».[1]

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- مشروعية الخدم لمن لا تقوم حاجتهم إلا بهم .

٢- حسن معاملة الخدم .

٣- العفو عند المقدرة .

٤- حسن التصرف عند مخالفة الخدم لمخدومهم ، وتأخرهم في تنفيذ مطالبه .

٥- سمو النبي في أخلاقه .

---

(١) رواه مسلم في الأيمان (١٦٥٩) .